# المصوّتات اللّغوية عند ابن جني

**أ. فاطمة دوحاجي**
المركز الجامعي النعامة ( الجزائر)

**Abstract**

In this paper we tried to study the Language sounds or ( Arabic language sounds) by Iben el Djeni Discussing first his method in dividing the Language sounds , second how did he classify it,besides mentioning its charactersitics. As we exposed some important issues having relation with sounds such as the position of the voiced and the voiceless sound , short and long , starting by an introduction to the concept and the difference beteween the silent and the vocal( acoustic) sound. ( vowels and consonant )

**الملخص**

سنحاول في هذا البحث أن نعالج تناول ابن جني للمصوتات العربية، وذلك بالتطرق إلى طريقته في تقسيمها أولا، وكيفية ترتيبها ثانيا، إضافة إلى ذكر مخارجها وصفاتها، كما عرضنا بعض القضايا المهمة عنده والمرتبطة بالمصوتات، نحو قضية موقعية المصوت من الصامت والعلاقة بين المصوتات القصيرة والمصوتات الطويلة، مستهلين ذلك بعرض تعريف لمصطلح المصوت والفرق بينه وبين مصطلح الصامت.

## أولا: تعريف المصوّت والفرق بينه وبين الصّامت.

عقد ابن جنّي فصلا في كتابه سرّ صناعة الإعراب أسماه: "ذوق أصوات الحروف" قال فيه: "سبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا؛ لأنّ الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقرّه، وتجتذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه، ثمّ تُدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله؛ لأنّ الساكن لا يمكن الابتداء به، فتقول:اِكْ. اِقْ. اِجْ، وكذلك سائر الحروف، إلاّ أنّ بعض الحروف أشد حصرا للصوت من بعضها. ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام: اِدْ. اِطْ. اِلْ. ولا تجد للصوت منفذا هناك"[1].

نلاحظ من هذا القول إدراك ابن جني الواضح لأهمّ ما يميّز المصوّتات عن الصوامت، فالأولى قد يقف هواؤها وقوفا تاماّ، والثانية، يعني حروف المدّ كما وصفها ابن جني يمتدّ فيها الهواء في مجراه ويستمرّ في الامتداد لا يمنعه شيء؛ حتى ينتهي بانتهاء نطق الصوت نفسه، حيث يقول :"فإن اتّسع مخرج الحرف حتى لا يَقتَطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمرّ الصوت ممتدًا حتى ينفد؛ فيُفضيَ حَسيرًا إلى مخرج الهمزة، فينْقطع بالضرورة عندها إذ لم يجد منقطعا فوقها. والحروف التي اتّسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو"[2].

ففي قول ابن جني إشارة إلى أنّ منتهى صوت المدّ هو الهمزة، التي هي أقصى الأصوات مخرجا، فمتى بالغنـــا في مدّها استحالت همزة. وفي كلام ابن جنّي أيضا إشارة إلى أهمّ خاصية من خواص نطق الأصوات المصوّتة؛ وهـــي اتّساع مخارجها ممّا يسمح للهواء بالتّسرب حرًّا طليقا. ويمكن أن نلمح في كلامه أيضا إشارة إلـــى ترتيـــب مخـــارج المصوتات الطويلة؛ التي هي الفتحة الطويلة والكسرة الطويلة وأخيرا الضمة الطويلة، بحيث عطف بينها بـــالأداة ثـــم، فالألف تأتي أولا من حيث المخرج؛ تليها الكسرة الطويلة أو الياء كما عبّر عنها ابن جني، وأخيـــرا تخـــرج الضـــمة الطويلة؛ والتي يُرمز لها كتابيا بالواو.

ويواصل ابن جنّي حديثه عن الفرق بين الصّوت الصّامت والمصوّت، ويتجلى هذا عنده على نحو أوضح عندما يصف جهاز النطق عند الإنسان بالناي والعود؛ حيث يقول: "شبّه بعضهم الحلق بالنّاي، فإنّ الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا، كما يجري الصوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة؛ فإذا وضع الزامر أنامله على خروق النـــاي المنســـوقة، وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسُمع لكل خَرْقٍ منها صوتٌ لا يُشْبِهُه صاحبَه، فكذلك إذا قُطِعَ الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مُخْتلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة"[3].

نستنتج من هذا القول أنّ ابن جني ميّز بين الصامت والمصوّت تمييزا يوافق ما تجري عليه الدراسات اللغويّـــة المعاصرة فهذا الصوت المستطيل الأملس هو المصوّت الذي لا يعترضه عائق، أمّا الصامت فهو ذلك الصـــوت الـــذي يلقى اعتراضا أو تضييقا شديدا يؤدّي إلى اقتطاع امتداده.

هذا ويُسمي ابن جنّي الصامت صحيحا والمصوّت الطويل حرف مدٍّ واستطالة، يقول: "جميع الحروف صحيحة إلاّ الألف والياء والواو اللّواتي هنّ حروف المدّ والاستطالة. إلاّ أنّ الألف أشدّ امتدادا وأوسع مخرجًا"[4].

بحسب رأي ابن جنّي فإنّ الألف أكثر مدّا وأوسع مخرجًا من الواو والياء المدّيتين، وهذا أمـــرُ أقـــرّه الـــدرس الصّوتي الحديث؛ حيث بيّنت الدراسات المخبرية إضافة إلى الملاحظة، أن الألف أوسع مخرجا من أختيها؛ وسبب ذلك أن اللسان مع الألف يستوي في قاع الفم، أما مع الضمة فنلاحظ تجمعا للسان في مؤخر الطبق، ومع الياء نلحظ تجمعا للسان في مقدمته.

وإلى جانب تسميتها حروف المدّ والاستطالة، جرى ابن جنّي على تسمية المصوّتات الطويلة بالحروف المصوّتة وحروف اللّين فقال :"والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوّتة، وهي: الألف والياء والواو. اعلم أنّ هذه الحروف أين وقعت، وكيف وُجِدت (بعد أن تكون سواكن يتبعن بعضهنّ غير مُدْغَمات) ففيها امتداد ولين، نحـــو: قـــام، وسير به، وحوت وكوز، وكتاب وسعيد وعجوز"[5].

وسنتناول في العنصر الموالي عدد المصوّتات؛ وذلك حسب تقسيم ابن جنّي لها.

**ثانيا: عدد المصوّتات.**

خصّص ابن جني في كتابه الخصائص بابا تحدّث فيه عن عدد المصوتات سماه "باب في كمية الحركات"، يقول: "أمّا ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث، وهي: الضمّة والكسرة والفتحة، ومحصولها على الحقيقة ستّ، وذلك أنّ بين كل حركتين حركة، فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة، نحو فتحة عين عالِم ، وكاف كاتِـــب، فهذه حركة بين الفتحة والكسرة، كما أن الألف التي بعدها بين الألف والياء، والتي بين الفتحة والضمة هي التـــي قبـــل ألف التفخيم، نحو فتحة لام الصلاة (والزكاة) والحياة، وكذلك ألف قام وعاد، والتي بين الكسرة والضمة ككسرة قاف قيل و( سين سير) فهذه الكسرة المشمّة ضمّا، ومثلها الضمّة المشمة كسرا كضمة قاف المنقُر[6]، وضمة عين مذعور، و(باء

ابن بور)؛ فهذه ضمة أشربت كسرا، كما أنها في قيل وسير كسرة أشربت ضما، فهما لذلك كالصوت الواحد، لكن ليس في كلامهم ضمة مشربة فتحة، ولا كسرة مشربة فتحة فاعرف ذلك"[7].

نستنتج من هذا القول أن عدد المصوتات عند ابن جني في الأصل ثلاثة، وهي:

- الضمة.
- الكسرة.
- الفتحة.

تتفرّع عنها مصوّتات ثلاثة أخرى، هي:

1) مصوت الإمالة: وهو الفتحة الممالة نحو الكسرة، كعالِم وكاتِب.
2) مصوت التفخيم: وهو الفتحة الممالة نحو الضمة، كالصلاة والحياة، وقام وعاد.
3) مصوت الإشمام: ويكون بين الكسرة والضمة، نحو: كسرة قاف قيل، وسين سير، ومثله الضمة المشمّة كسرا كالمنقر، ومذعور وابن بور. وقد عدّهما ابن جني صوتا واحدا.

ولم يُدرج ابن جني مصوّتي الضمة المشربة فتحة والكسرة المشربة فتحة ضمن المصوّتات الفرعية، والعلّة في ذلك مخرج هذه المصوتات، يتّضح هذا من قوله: "فالجواب في ذلك أن الفتحة أوّل الحركات، وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة؛ فإذا بدأت بالفتحة وتصعّدت تطلب صدر الفم والشّفتين، اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو، فجاز أن تشمّها شيئا من الكسرة أو الضمة؛ لتطرقها إيّاهما، ولو تكلّفت أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أوّل الحلق، فكان في ذلك انتقاض عادة الصوت بتراجعه إلى ورائه، وتركه التقدّم إلى صدر الفم والنفوذ بين الشفتين، فلمّا كان في إشمام الكسرة أو الضمّة رائحة الفتحة هذا الانقلاب والنقض تُرك ذلك، فلم يُتكلف البتة"[8].

نستخلص من قول ابن جني أن الفتحة والكسرة مصوّتان أماميان والضمة بعد الكسرة، فإشمام الفتحة شيئا من الكسرة أو الضمة جائز؛ لأنه انتقال من الأقصى إلى الأدنى، أما إشمام الكسرة أو الضمة شيئا من الفتحة ففي ذلك تكلّف؛ لأنه تصعد وفي التصعّد مشقة.

وقد أكّد ابن جني أن هذه المصوّتات معتدّ بها في كلام العرب، وإن لم يقيّدها ويضبطها رمز خاص.

**ثالثا: مخارج المصوتات.**

يرى ابن جني أن بين الحركات وحروف المد مناسبة، وهو ما سماه المضارعة أو المشابهة. فإذا أشبعت الحركة أنشأت حرفا من جنسها وهو حرف مدّ، فالفتحة المشبعة تصير ألفا ممدودة، وهو بهذا يجد الألف أقرب إلى الياء منها إلى الواو؛ لذلك يعدّ ابن جني الفتحة أول الحركات يقول: " فالجواب في ذلك أن الفتحة أول الحركات، وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة، فإذا بدأت بالفتحة، وتصعَّدت تطلب صدر الفم والشفتين، اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو"[9]. نستنتج من هذا النص ما يلي:

1/ الفتحة أدخل صوت في الحلق، وعلّته في ذلك أن الفتحة بعض الألف ومخرجها من أقصى الحلق، يقول ابن جني: "اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا، فأوّلها الألف، وآخرها الياء"[10].

2/ الكسرة من صدر الفم، فهي تخرج من مقدمه.

3/ الضمة من الشفتين.

ويقصد ابن جني من أن مخرج الكسرة من مقدم الفم وأعلاه أنها مصوت أمامي، ويتم نطقها من أدنى التجويف الفموي، أمّا الضمة فقد نسب ابن جني مخرجها إلى الشفتين؛ لأنهما العضوين الأكثر بروزا، رغم أن لمؤخر اللسان دور كبير في إنتاجها؛ حيث يرتفع قليلا ناحية الطبق؛ ولهذا وصفت الضمة الطويلة في الدراسات الصوتية الحديثة أنها صوت قصي شفوي.

هذا في ما يخص مخارج المصوّتات القصيرة؛ ولا بأس من الإشارة والتنبيه إلى أن بعض الدارسين المحدثين شكّكوا في قيمة الدراسة الصوتية للمصوتات القصيرة، وقالوا إن هذه الأخيرة لم تحظ بقدر كبير من الاهتمام؛ إذ إنها لم تخصص لها علامات كتابية خاصّة بها في صلب الكلمة على عكس المصوتات الطويلة التي حظيت باهتمام خاص فكانت لها رموز كتابية مستقلة ، كما أن لها خواصّ صوتية وصرفية تؤثر في صورة الكلمة[11] . وطبعا مثل هذا الكلام لا يمكن الأخذ به؛ لأن الرمز للمصوّتات القصيرة برموز صغيرة فوق أو أسفل الصامت المصاحبة له لا يقلل من قيمتها أبدا مقارنة بالمصوتات الطويلة والصوامت، وإنما ذاك من باب الاختصار في الكتابة العربية.

إضافة إلى أنّ حجم الرموز الصوتية ليس دليلا ولا معيارا لقيمة الصوت، وإنما قيمة الصوت والمصوتات تكتسب من أثرها في بنية الكلمة.

وفيما يلي سنحاول أن نفرد مخرج كل مصوّت بحديث خاص:

1) **مخرج الفتحة الطويلة:** يعدّ ابن جني من الذين أدرجوا الألف ضمن أصوات الحلق؛ بحيث جعلها أوّل الأصوات مخرجا، يقول: "اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا، فأوّلها الألف، وآخرها الياء"[12].

وفي موضع آخر يقول: "مخرج الألف المتحركة؛ التي هي همزة من الصدر، ومخرج الألف فوقها من أول الحلق"[13].

نلاحظ من هذا القول أن ابن جني جعل الألف تلي الهمزة في المخرج، وهي من أقصى الحلق، فالهواء مع الألف يكون حرّا طليقا، يقول: "أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفَتحَين، غير معترِضين على الصوت بضغط أو حصْر"[14].

2) **مخرج الكسرة الطويلة:** وصف ابن جني مخرج الكسرة الطويلة بقوله: "وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جَنْبَتي اللسان وضغطته، وتفاجَّ الحنكُ عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعداً هناك"[15].

نستنتج من هذا القول أن مخرج الكسرة الطويلة يكون بارتفاع اللسان قِبل الحنك الأعلى، مع ترك فجوة بيّنة بينهما تسمح بجريان الهواء دون انحباس أو تضييق.

3) **مخرج الضمة الطويلة:** أشار ابن جني إلى مخرج هذا المصوّت بقوله:" أما الواو فتَضُمُّ لها معظَم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج، ليخرج فيه النفَس، ويتّصل الصوت"[16].

نستشفّ من هذا القول بأن مخرج الضمة الطويلة يتمّ بحركة الشفتين، حيث نبّه ابن جني بضرورة ترك فراغ عند ضمّ الشفتين؛ حتّى يخرج الهواء مستمرّا، وهذا الفراغ نشأ عن استدارة الشفتين، مع أنه من المسلّم به في الدراسات الحديثة أن إنتاج الضمة الطويلة يتمّ بتحرك أقصى اللسان ناحية ما يحاذيه من الحنك الأعلى، بمعنى إنه صوت قصي شفوي، أي يشارك في إنتاجه عضوان، هما: أقصى اللسان إضافة إلى الشفتين، ولأن الشفتين هما العضوان الذين يمكن مشاهدة حركتهما، وصفت الضمة الطويلة بأنها صوت شفوي. أضف إلى أن القدامى لم تتوفر لهم الإمكانات ولا الوسائل التي تمكنّهم من الوصول إلى نتائج دقيقة؛ حيث إنهم اعتمدوا الملاحظة والاستقراء فقط.

**رابعا: صفات المصوّتات.**

من الصفات التي قيد بها ابن جني هذا القسم من الأصوات؛ يعني المصوتات:

**1/الجهر**: استعمل ابن جني هذا المصطلح في قوله: "المجهور حرف أُشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النَّفَس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت"[17]. ولعلّ في مصطلح المصوّتة الذي أورده ابن جنّي ما يدلّ علـــى أن الألف والياء والواو مجهورة، ويتّضح هذا في قوله:" والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوّتة، وهي الألف والياء والواو. اعلم أنّ هذه الحروف أين وقعت، وكيف وجدت (بعد أن تكون سواكن يتبعن بعضـــهن غيـــر مدغمات) ففيها امتداد ولين"[18]. ولعلّ في مصطلح المصوتة الذي وظفه ابن جني ما يُشير إلى أنها مجهورة ، وهـــذا أيضا ما يؤكده القرطبي في قوله: "وإنما سميت مصوتة؛ لأن النطق بهن بصوت أكثر من تصويته بغيرهن؛ لاتساع مخارجهن وامتداد الصوت بهن"[19]. أي إنّ هذه الأصوات تتميّز بعلوّها ووضوحها الصوتي مقارنة بباقي الأصوات.

**2/حروف الاستطالة والمدّ**: هذه الصفة هي ميزة للمصوّتات الثلاثة الألف والياء والواو. يقـــول ابـــن جنّـــي: "جميـــع الحروف صحيحة إلا الألف والياء والواو؛ اللّواتي هنّ حروف المدّ والاستطالة"[20]. بمعنى أنّنا نســـتطيع مـــدّ هـــذه الأصوات بالقدر الذي نشاء؛ لأنّ المدّ الزائد لن يخرج الألف عن كونها ألفا، والأمر نفسه بالنسبة للياء والواو.

**المد واللّيّن**: تردّد هذا المصطلح عند ابن جني، وهي عنده ثلاثة: الألف، الواو، والياء[21]، وسميت الأصوات الثلاثة بهذا الاسم؛ لأن وجودها يحتاج إلى مدّ الصوت و لينه [22].

والملاحظ من هذا التركيب المزدوج لمصطلح المد واللين، أن ابن جني لم يخلط بين أصوات المد؛ التي هي المصوتات الطويلة، و بين أصوات اللين؛ التي هي: الواو والياء متى سكنات و تحرّك ما قبلهما كما زعم بعض الدارســـين[23]. لأن القدامى أوضحوا أنّ مصطلح المدّ متضمّن لمصطلح اللين؛ أي أنّ كلّ صوت مدّ هو صوت لين. والعكس غير صحيح [24]. وما يؤكد هذا أيضا أن ابن جني وغيره من القدامى عطفوا بين المصطلحين والعطف يقتضي في اللغة المغايرة بين المتعاطفين.

**خامسا: علاقة المصوّتات الطويلة بالمصوّتات القصيرة.**

تحدّث ابن جنّي عن المصوّتات حديثا خاصّا، وأدرك نوع العلاقة التي تقوم بين المصوّت القصـــير والطويـــل، يتوضّح ذلك في النص الآتي:" اعلم أنّ الحركات أبعاضُ حُروفِ المدّ واللِّين، وهي الألفُ والياءُ والواو، فكما أن هـــذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحَركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعضُ الألف، والكسرةُ بعـــضُ اليـــاء، والضمّة بعضُ الواو، وقد كان متقدّمو النّحويين يُسَمّون الفتحة الألفَ الصغيرة، والكسرة الياءَ الصغيرة، والضمَّة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريقٍ مستقيمة، ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هُنّ حروفٌ نَوامُّ كَوامل، قد تجدهُنّ في بعض الأحوال أطولَ وأتمّ منهنّ في بعض، وذلك قولك يخافُ وينام، ويسيرُ ويطير، ويقومُ ويســـومُ، فتجـــد فيهنّ امتدادًا واستطالة ما، فإذا أوقعتَ بعدهُنّ الهمزة أو الحرف المُدْغَم، ازْدَدْنَ طولاً وامتدادًا، وذلك نحو: يشاءُ ويَـــداء ويَسوء ويهوء ويجيءُ ويَفيء، وتقول مع الإدغام شابّة ودابّة، ويطيب بَّكر، ويسير رَّاشد، وتُمودَّ الثوب، وقد قُوصَّ زيد بما عليه، أفلا ترى إلى زيادة المدّ فيهنّ بوقوع الهمزة والمدغم بعدَهُن، وهنّ في كلا موضِعهينّ يُسَمَّيْن حروفًا كوامـــل، فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حُروفًا صِغارًا بأبعدَ في القياس منه. ويدلّك علـــى أنّ الحركـــات أبعـــاضٌ لهـــذه الحروف، أنك متى أَشْبَعْتَ واحدةً منهُنّ حدَثَ بعدها الحرفُ الذي هي بعضُه"[25].

يتضح من هذا النصّ أنّ ابن جنيّ تنبّه إلى أمر هامّ وهو أنّ المصوّتات القصـــيرة أو الحركـــات تشـــترك مـــع المصوّتات الطويلة أو حروف المدّ في طريقة النّطق، إضافة إلى الوضوح السّمعي، والفرق بينهمـــا هـــو أنّ الأولـــى أبعاض الثانية.

فبلفظة (بعض) عبّر ابن جنّي عن الفرق بين المصوّتات الطويلة والقصيرة؛ فبعض يقال لما لم يعرف مقداره، بحيث إنّ كمّية المصوّتات الطويلة كانت محلّ اِختلاف بين النحاة وبخاصّة بين القُرّاء؛ الأمر الذي جعل ابن جنّي يعبّر عن هذا الفارق بكلمة "بعض".

ويتابع ابن جنّي قوله إنّك متى أطلت الحركة صارت حرف مدّ بإيراده بعض الأمثلة، نستشفّها من خلال قوله:" وذلك نحو فتحة عَين عَمَر، فإنّك إن أشبَعْتَها حَدَثَتْ بعدها ألف، فقلتَ عامَر، وكذلك كسرةُ عينِ عِنَب، إن أشبَعْتَها نشأت بعدها ياء ساكنة، وذلك قولك عِينب، وكذلك ضمة عين عُمَر، لو أشبعتها لأنشأتَ بعدها واوًا ساكنة، وذلك قولك عُومَر، فلولا أنّ الحركات أبعاضٌ لهذه الحروف وأوائل لها، لما نشأتْ عنها، ولا كانت تابعةً لها"[26].

ممّ تقدّم نخلص إلى أنّ الفرق بين المصوّتات الطويلة والقصيرة عند ابن جنّي لا يعدو أن يكون فرقا في الكمّية فقط، مع العلم أنّ كمّية المصوّتات الطويلة التي هي الألف والياء والواو ليست قارّة في جميع الأحوال، بل تزيد وتنقص، والسّبب في ذلك ما يجاورها من أصوات؛ فإذا تلتها همزة نحو: يشاء ويداء، أو صوت مدغم، نحو: شابّة ودابّة ازدادت كمّيتها وطولها.

وقد ذكر ابن جنّي علّة زيادة المدّ بقوله: "وإنّما تمكّن المدّ فيهن مع الهمز أنّ الهمزة حرف نأى منشؤه، وتراخى مخرجه؛ فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوّتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه طلن، وشِعن في الصوت، فوفَين له، وزدن في بيانه ومكانه، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها، وغير المشدد"[27].

أمّا عن سبب وفاء المدّ في المصوتات الطويلة إذا وقع المشدّد بعدها فـ:" لأنّهنّ– كما ترى– سواكن، وأوّل المثلين مع التشديد ساكن، فيجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم، فحينئذ لا ينهضون بالألف بقوّة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها، عوضا ممّا كان يجب لالتقاء الساكنين:من تحريكها، إذ لم يجدوا عليه تطرّقا، ولا بالاستراحة إليه تعلّقا"[28].

بعد أن عرّجنا على علاقة المصوّتات الطّويلة بالقصيرة سنخصّص ما يستقبل من حديث لموقعية المصوّت من الصّامت.

**سادسا: موقع المصوّت من الصّامت.**

أفاض ابن جني الحديث في هذه المسألة عارضا مختلف المذاهب مع شرحها والترجيح بينها، ونسبتها لأصحابها والقائلين بها في بعض المواضع.

1) **الصامت قبل المصوّت:** يقول ابن جنّي:" واعلم أنّ الحركة التي يتحمّلها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة، قبله، أو معه، أو بعده. فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف، وذلك أنّ الحرف كالمحلّ للحركة، وهي كالعَرَض فيه، فهي لذلك محتاجة إليه، ولا يجوز وجودُها قبل وجوده، وأيضا لو كانت الحركة قبل الحرف لَما جاز الإدغام في الكلام أصلا، ألا ترى أنّك تقول قَطّعَ، فَتُدغَم الطاء الأولى في الثانية، ولو كانت حركة الطاء الثانية في الرّتبة قبلها، لكانت حاجزة بين الطاء الأولى، وبين الطاء الثانية، ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى في الثانية؛ لأن الحركة على هذه المقدّمة، مرتبتُها أن تكونَ قبل الطاء الثانية، بينها وبين الأولى؛ وإذا حجَز بين الحرفين حركةٌ بطل الإدغام، فجواز الإدغام في الكلام، دلالةٌ على أنّ الحركة ليست قبل الحرف المتحرّك بها"[29].

من خلال هذا النصّ نرى أنّ ابن جنّي عنى برتبة المصوّتات هل هي قبل الصامت أم بعده، أم في المرتبة نفسها، فقد أنكر أن يكون المصوّت قبل الصّامت أو تكون الحركة قبل الحرف باصطلاحه وحجّته في ذلك ظاهرة الإدغام، وقدّم مثالا على ذلك وهو لفظة (قطّع)؛ حيث إنّ الطّاء الأولى أُدغمت في الثانية ولو كان المصوّت قبلها لكان حاجزا بين الطاء الأولى والثانية وبالتالي يُمنع الإدغام.

2) **الصّامت والمصوّت في المرتبة نفسها:** أسند ابن جنّي هذا الرّأي إلى أستاذه أبي علـــي الفارســـي (ت377هـــ)، وحجّته في ذلك هو أنّ النون الساكنة إذا تحرّكت زالت عن الخياشيم إلى الفم، وكذلك الألف، إذا تحركــت انقلبــت همزة، فهذا دليل على أنّ الحركة تحدث مع الحرف، وهو استدلال قويّ في نظر ابن جنّي[30] كما ذكر أبو علـــي أنّ الحركة لا تخلو في الحرف المتحرّك من أن تكون قبله أو بعده، ولا يجوز عنده أن تكون قبله، لأنّها لو كانت كذلك لكانت مانعة للإعلال[31] وهذا دليل أيضا على أنّها مُقَدّرة بعد الحرف[32].

والواضح من كتاب الخصائص أنّ ابن جنّي قد أخذ بهذا الرّأي في بداية حياته، إلّا أنّه تراجع عنه بعد إدراكــه لفســاده وفساد حجّته.

3) **المصوّت بعد الصّامت:** يعد ابن جنّي من أنصار هذا المذهب بعد سيبويه، ويتّضح ذلك في قوله:" فمحال أن تكــون الحركة في المرتبة قبل الحرف، وذلك أنّ الحرف كالمحلّ للحركة، وهي كالعرض فيه، فهي لذلك محتاجة إليه، ولا يجوز وجودها قبل وجوده، وأيضا لو كانت الحركة قبل الحرف لما جاز الإدغام في الكلام أصلا"[33].

والدّليل على أنّ الحركة تحدث بعد الحرف هو أنّك إذا أشبعت الحركة تمّمتها حرف مدّ، كما في قولنا ضـــرب وقتل؛ إذا أشبعت حركة الضاد والقاف قلت ضارب وقاتل، فكما أنّ الألف والواو والياء بعد الضاد والقاف قلت فكــذلك الفتحة والضمة والكسرة في الرتبة بعد الضاد والقاف، لأنّ الحركة إذا كانت بعضا للحرف، فالحرف كلّ لها، وحكــم البعض في هذا تابع لحكم الكلّ[34].

اعتمد ابن جني في عرضه هذه المسألة عرض الآراء المختلفة والمتباينة والترجيح بينها؛ لقنع القارئ بما يــراه صائبا وصحيحا، وقد تبيت معنا تحلي ابن جني بالروح العلمية؛ ذلك أنه تراجع عن رأيه في أن المصوت والصامت في المرتبة نفسها عندما أدرك فساده.

وتنوّع القضايا التي عالجها ابن جني يثبت لنا فطنته وبعد نظره؛ لأنه تطرق إلى قضايا ومسائل لم يتعرض لهـــا أقرانه من علماء اللغة، وتوصل إلى نتائج أقر علم الأصوات الحديث مجملها.

**المصادر والمراجع**

---

[1] ابن جني: سر صناعة الإعراب ، 1 / 19ـــ 20.

[2] ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، 1/ 20 – 21

[3] المصدر نفسه،21/1 ــ 22 .

[4] ابن جني: سرّ صناعة الإعراب ،21/1 ــ 22.

[5] ابن جني: الخصائص، 124/3– 125.

[6] الجوهري:الصحاح ،المنقر،مادة: [ ن ق ر]،المنقر بضم الميم والقاف:بئر صغيرة ضيقة الرأس تكون في نجفة صلبة لئلا تتهشم والجمع المناقر.574/2.

[7] ابن جني: الخصائص، 3 / 120، 121.

[8] ابن جني: سر صناعة الإعراب، 1/ 68 .

[9] ابن جي: سر صناعة الإعراب، 68/1.

[10] المصدر نفسه، 55/1.

[11] كمال بشر: علم الأصوات ، ص17.

[12] ابن جني: سر صناعة الإعراب، 55/1.

[13] ابن جني: سر صناعة الإعراب ، 57/1.

[14] المصدر نفسه، 21/1.

[15] المصدر نفسه، 21/1.

[16] المصدر نفسه ، 21/1.

[17] المصدر السابق،75/1.

[18] الخصائص، 124/3.

[19] القرطبي: أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي ( ت 461 هـ)، ص: 49.

[20] سر صناعة الإعراب، 1/ 76، 33.

[21] المصدر نفسه ، 33/1 .

[22] يُنظر: العينى بدر الدين عمرو بن أحمد (ت 855 هـ) ، شرح المراح في التصريف، ص: 85 .

[23] يُنظر: سعيد محمد شواهنة ، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء و المحدثين ، ط2 ، ص: 26.

[24] شرح المراح في التصريف، ص: 183 .

[25] ابن جني: سر صناعة الإعراب،1 /33ــ ـــــــ 34

[26] المصدر السابق، 34/1

[27] ابن جني: الخصائص، 3/ 125.

[28] المصدر نفسه، 126/3.

[29] ابن جني: سر صناعة الإعراب،43/1

[30] المصدر نفسه ،46/1.

[31] الفارسي: أبو علي الحسن بن عبد الغفار (ت 377 هـ) ، الحجة للقراء السبعة ، ط1، 4/2.

[32] عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ط1، ص: 90.

[33] ابن جني: سر صناعة الإعراب،43/1.

[34] المصدر نفسه ،45/1